



"الصورة الفنية عند ابن خميس التلمساني"

"The Artistic Image of Ibn Khamis Al-Tlemceni"

فضيلة بوعباد*، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، (الجزائر). البريد الإلكتروني: bouayed13000@gmail.com
د. ليلي رحمان، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان، (الجزائر). البريد الإلكتروني: rahmleila1968@gmail.com

تاريخ المقال

الإرسال: 2023-06-01 القبول: 2023-06-06 النشر: 2023-06-19

الكلمات المفتاحية

ملخص البحث

ابن خميس التلمساني؛
الصورة الفنية؛
التشبيه؛
الكناية؛
الخطاب الشعري.

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في الصورة الفنية في شعر ابن خميس التلمساني الذي عاش في المائة السابعة المعروف في زمانه بالتضلع والتبحر في الألفاظ القديمة المجسدة في القاموس العربي والمنتقاة من أشعار سابقه. كما عرف بميله في توظيف المعطيات والصور التشبيهية والكنائية في أشعاره التي اكتست حلة سمعية وذوقية مئزته غن غيره من أقرانه.

Abstract

This study aims to investigate the artistic image in the poetry of Ibn Khamis al-Tilmisani, who lived in the seventh century and was known in his time for mastery and exploration in the ancient words embodied in the Arabic dictionary and selected from the poems of his predecessors. He was also known for his tendency to employ data, metaphors in his poems, which were endowed with an

Keywords

Ibn khamis Al-Tlemceni;
Artistic image;
Simulation;
Metaphor;
Poetic discourse.

* المؤلف المرسل

auditory and tasteful suit that distinguished him from his peers.

ولد شاعرنا عام 650هـ أو قبلها بقليل حسب ما ارتأه صاحب مزية المرية فكانت أسرة الشاعر فقيرة، فهذا صاحب بغية الرواد يقول بأنّ الشاعر كان مسكنه بيت فندق، أنّ فرشه كانت من سلايخ الضأن لا غير بل حيث يورد لنا هذا النصّ في كتابه " فمن أغربها ما حدثينه غير واحد من التفات أنّ الفقيه المذكور كان مسكنه بيت فندق فرشه سلايخ الضأن لا غير ". (توات، 2007، صفحة 58)

" وهناك أيضًا دلائل غير مباشرة توحى بأنّه كان من أسرة فقيرة؛ إذ كان شاعرًا مادحًا متكسبًا فهو كان يمدح ملوك بني عبد الواد كما مدح أمراء بني الغرقي في سبتة وبعض سلاطين غرناطة ووزراءها، منهم محمد الثالث المسمى بالملخوع؛ ووزيره ابن الحكيم يضاف إلى ذلك أنّه كان كما وصفه الرحالة العبدري في حالة انزواء وتغلغل من الدنيا بل كان نسيج وحده زاهدًا وانقباضًا ". (المقري، 1939، صفحة 285)

فشاعرنا نفسه أشار إلى فقره؛ بل أشار إلى الفقر بصفة عامة؛ يقول:

يَأْبَى ثَرَاءُ الْمَالِ عَلَيَّ؛ وَهَلْ يَجْتَمِعُ الضِدَانُ؛ عَلِمٌ وَمَالٌ
(المقري، 1939، صفحة 281)

ويقول:

الْفَقْرُ عِنْدِي لَفْظٌ دَقٌّ مَعْنَاهُ * مَنْ رَامَهُ مِنْ ذَوِي الْعَابَاتِ عَنَاهُ
كَمْ مِنْ غَيٍّ بَعِيدٍ عَنِ تَصَوُّرِهِ * أَرَادَ كَشَفَ مُعَمَّاهُ فَعَمَّاهُ
(المقري، 1939، صفحة 339)

وفي موضوع آخر يقول:

وَأَنَا الْفَقِيرُ إِلَى تَعَلُّهِ سَاعَةٍ * مِنْهَا؛ وَتَمْنَعُنِي زَكَاةَ جَمَالِهَا
(المقري، 1939، صفحة 339)

" فلقد استطاع الشاعر أن يفرض وجوده مع أبناء عصره، بل لقد تفوق عليهم حتى سعي فيما بعد بشيخ الأدباء ".
(توات، 2007، صفحة 64)

2 - ميزاته وصفاته:

" وعرف ابن خميس أنّه كثير الحفظ، وافر الذكاء، حاضر البديهة، ممّا أهله لتبوء المكانة التي ارتقى إليها، علمًا بأنّ حفظه لم يقتصر على ما كان في عصره بل تجاوزه إلى من سبقه من فطاحل الشعراء كالمعلقات، ولامية العرب، والإمام بكثير من شعر الخنساء وحسان بن ثابت، وشعر النقااض

هو أحد فحول الشعراء في المائة السابعة. فقيه ومتصوف؛ عارف بأسرار اللغة العربية وغريبها يقال أنّه اشتغل بالسيما والتنجيم. فمن يكون هذا العالم الأريب.

1 - مولده وحياته:

"أبو عبد الله بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن خميس الحميري الرعيني؛ نسبة إلى حجر ذي رعين، وهو أبو قبيلة يمنية، أمّا كنيته فهو أبو عبد الله، وكان يعرف عند معاصريه بابن خميس التلمساني" (توات، 2007، صفحة 54)، والدليل على ذلك أنّ ابن مسقط رأسه ومعاصره ابن هدية القرشي في شرحه المعنون: " بالعلق النفيس في شرح رسالة ابن خميس " وفي شرحه يذكر الشاعر باسم ابن خميس أو عبد الله بن خميس يقول عنه الحديث عن محاكمة الشاعر بمدينة فاس: " وتفننوا (الفقهاء) في الكلام استدراجًا لابن خميس... فامتد مجال الجدل بينهما (ابن خميس والشريف أبو أبركان)؛ فلم يكن بأسرع من أن فاس ابن خميس... وبسببه وقعت مخاطبة أبي عبد الله بن خميس أبا الفضل بن عتيق بهذه الرسالة؛ إذ كان أبو البركات هذا هو متولى مناظرته (ابن خميس) حال حلول بمدينة فاس واجتيازه بها ". (توات، 2007، صفحة 55)

وقد افتخروا غنوا ابن خميس بنسبه في جميع نصوصه النثرية والشعرية.

فقال:

وان انتسبت فإنني من دوحة * تتقبل الأنسابُ برد ظلالها
من حميرٍ من ذي رُعَيْنٍ مِنْ ذُرَا * حجرٍ؛ من العظماء من أقباليها
(ابن منصور، 1365هـ، صفحة 21)

ولد بتلمسان عام 645هـ – 1246م وقيل سنة 650هـ نشأ

بتلمسان وتعلّم على علماء عصره فصار نسيج وحده زاهدًا وانقباضًا وأدبًا وهمة وحسن الشيبة؛ جميل الهيئة؛ سليم الصدر، قليل التصنّع بعيدًا عن الرياء؛ عارفًا بالمعارف القديمة مضطلعًا بتفاريق النحل، قارئًا على العربية والأصليين طبقة الوقت من الشعر وفحل الأوزان من المطول، أقدر الناس على اجتلاب الغريب، حافظًا لأشعار العرب وعارفًا بأخبارهم وأقوالهم؛ وله مشاركات في العقلليات واستشراف على الطب".
(عبدلي، 2011، صفحة 691)

وعجائب الصدق ما يقال أنّ الوزير "ابن الحكيم" كان قد اقترح على ابن خميس نظم قصيدة هائية الروي ". (الجيلالي، 2007، صفحة 240) مطلعها كالتالي:

لَمِنَ الْمَنَازِلِ لَا يَجِيبُ هَوَاهَا ❀ مُجِيتَ مَعَالِمُهَا وَصَمَّ صَدَاهَا
(المقري، 1939، صفحة 304)

كان الشاعر هنا نعاه ونعى نفسه معه فيه، وكان ذلك آخر شهر رمضان، وما كادت شمس يوم العيد تذكو وتحسر قناتها؛ إلاّ وهما مقتولين معاً - رحمها الله - فكان هذا البيت آخر ما صدر عنه من الشعر". (الجيلالي، 2007، صفحة 240، 241) ومن الأعمال التي تقلدها تذكر المصادر بأنّ الشاعر قد تولى رئاسة ديوان الإنشاء في أيام السلطان أبي سعيد يغمراسن والشاعر ابن خميس كان يدافع عن بني زيان أو هو من الحزب العبد الوادي وفي هذا يقول:

وَدَافَعْتُ عَنْهُمْ بِشِعْرِي انْتِصَارًا ❀ فَكَانَ الْجَزَاءُ جَلَائِي الْمُنَاحَا
(توات، 2007، صفحة 68)

"كما كان يهوى التعليم ويفضله على غيره من المناصب، ولو كانت مناصب سياسية". (مرتاض، 2004، صفحة 61) مفهوم الصورة: لغة:

"جاء في لسان العرب لابن منظور، مادة (ص، و، ر) الصورة في الشكل؛ والجمع صور، وقد صوره فتصور، وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير، التماثيل.

- قال ابن الأثير: "الصورة ترد في لسان العرب (لغتهم) على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته؛ يقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته " (ابن منظور، صفحة 492) وجاء في تاج العروس: "الشكل والهيئة الحقيقية والصفة جمع صور بضم وفتح وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة". (الزبيدي، 2001، صفحة 365)

والتصور في القرآن الكريم ليس تصويراً شكلياً بل هو تصوير شامل فهو تصوير باللون وتصوير بالحركة وتصوير بالتخيل، كما أنّه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل وكثيراً ما يشترك الوصف والحوار وجرس الكلمات ونغم العبارات وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور". (الخالدي، 1988، صفحة 74)

والصورة الفنية مصطلح حديث صبغ تحت وطأة التأثير بمصطلحات النقد الغربي والاجتهاد في ترقيتها.

وشعر الأحزاب وشعر الغزل بنوعيه العفيف والإباحي؛ أضيف إلى ذلك إلمامه بشعر العصر العباسي حيث أبي حفظاء على كثير ممّا تركه المتنبي وأبو تمام، والبحري وأبو العلاء المعري، وهذا ما أهله لاكتساب ثقافة شاملة ومتخصصة في الآن ذاته فهو شاعر وصوفي وفيلسوف وفقه، كما كان لديه إلمام بكثير من الوقائع والأحداث التاريخية إلى جانب تبحره في الشعر والأدب؛ كان خلوقاً متديناً زاهداً وهذا ما جعل لسان الدين بن الخطيب يصفه بأن: "كان حسن الشبهة، جميل الهيئة، سليم الصدر، بعيداً عن الرياء والهوى، عاملاً على السياحة والعزلة". (مرتاض، 2004، صفحة 59)

"كان ابن خميس دائم الترحال على غرار أنداده من المثقفين؛ كثير الأسفار، حيث ارتحل إلى فاس وسبتة قبل أن يستقر في غرناطة". (مرتاض، 2004، صفحة 59)

"يعتبر ابن خميس شاعراً فحلاً متضلّعاً في الأدب والعربية كالنحو والبلاغة وفي فنون من العلم كأصول الفقه وأصول الدين والمذاهب والحكمة والمنطق والطب، وكانت في شعره دعاية ونزعة دينية تصوفية أشبه بنزعة المعري". (الشيخ وآخرون، 2007، صفحة 169)

3 - من آثاره:

"العالم الأديب الأريب العالم المشهور الحامل راية المنظوم والمنثور؛ يعدّ من فحول الشعراء وأعلام البلغاء، أثنى عليه كثيراً في نفح الطيب وأزهار الرياض وذكر كثيراً من شعره من ذلك قصيدته التي أولها:

عَجَبًا لَهَا أَيْدُوقُ طَعْمُ وَصَالِهَا ❀ مَنْ لَا يُؤْمَلُ أَنْ يَمُرَّ بِبَائِهَا
(مخلوف، 2003، صفحة 308)

ولابن خميس ديوان جمعه أبو عبد الله القاضي محمد بن إبراهيم الحضرمي سمّاه "الدّر النفيس في شعر ابن خميس"، لكن هذا الديوان مفقود، وقام عبد الوهاب بن منصور بعد ذلك بجمع كثير من قصائد الشاعر سمّاه "الدّر النفيس من شعر ابن خميس" وله رسالتان نثریتان ". (مرتاض، 2004، صفحة 62)

4 - وفاته:

"شاعر المائة السابعة مات قتيلاً بغرناطة صحوة يوم عيد الفطر عام 708-14 مارس 1309م؛ طعنه الرئيس علي بن نصر الشهير بالأبكم فأصماه وذلك إثر الانقلاب الحكومي الذي أودى بصديق ابن خميس الوزير ابن الحكيم، ومن غرائب الاتفاق

وفي الاصطلاح: يرى جابر عصفور: "أن الصورة الفنية هي الجوهر الثابت والدائم في الشعر، قد تتغير مفاهيم الشعر ونظرياته فتتغير بالتالي مفاهيم الصورة الفنية ونظرياتها، ولكن الاهتمام فيها يظل قائم ما دام هناك شعراء يبدعون ونقاد يحاولون تحليل ما أبدعوه وإدراكه والحكم عليه".

(عصفور، 1992، صفحة 08)

ومن أهم النقاد الذين اعتمدوا على الشعور والوجدان في تعريف الصورة نجد عز الدين اسماعيل: "الصورة دائماً غير واقعية وإن كانت منتزعة من الواقع، لأن الصورة الفنية تركيبية وجدانية تنتمي في جوهرها إلى عالم الواقع". (عز الدين اسماعيل، 1978، صفحة 127)

والصورة الفنية عند النقاد المحدثين كما يرى الدكتور علي البطل: "أنها تشكيل لغوي لكونها خيال الفنان من معطيات متعددة يقف العالم المحسوس في مقدمتها".

(البطل، 1981، صفحة 30)

ومن أنماط الصورة الفنية بحسب اختلافات تقسيماتها فنجد من يقسمها إلى صورة بلاغية وهي شكل من أشكال الصورة الشعرية التي تحوي على التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل وقد أشار أيضاً الدكتور - علي البطل - أن هناك الصورة التي تعتمد على تشكيلها على المعطيات الحسية وقد سماها بالصورة الذهنية " (ابن رشيقي القيرواني، 1987، صفحة 286) "وهناك أنواع مختلفة من الصور أهمها: النمط البصري، السمعي والذوقي واللمسي، والصورة ليست دوماً تشكيلاً حسياً بامتياز بل أن العنصر الذهني له نبرته الخاصة". (فريدمان، صفحة 34)

بعض الأبيات الشعرية من قصائد ابن خميس - التحليل :-
أولاً: الصورة التشبيهية: التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب ابن خميس؛ وها هو يصور حاله يوم كان في تلمسان كأنه فيها أحد أعظم ملوك الفرس فيقول ابن خميس:

كَأَنِّي فِيهَا أَرْدَشِيرُ بْنُ بَابِك * وَلَا مُلْكُ لِي إِلَّا الشَّيْبَةُ وَالسَّرَخُ
(بن منصور، 1365، صفحة 97)

ففي صدر البيت هناك تشبيه في قوله: "كأنني فيها أردشير بن بابك" فالتشبيه: الرجل بالرجل في الشدة والقوة وما يتصل بهما لا يجري فيه التأويل ولا يفتقر إليه في تحصيله فالملك في بلاده لا يتصور إلا مكرماً ومعظماً".

(بن منصور، 1365هـ، صفحة 97)

ثانياً: الصورة الكنائية: "كأن ابن خميس عن تلمسان بأسماء كثيرة حملت في طياتها دلالات مختلفة، فأسماء الأعلام استعمال شعري مختلف، فهي تحمل في تداعيات معقدة يشدّها إلى قصص تاريخية وأسطورية، وتستدعي تلميحات تقل أو تكثر أبطال وأماكن؛ فكأن عنها بعلى وعلوة وبالمزمل". (طالب، 2000، صفحة 137)

يقول ابن خميس عن العلو: (علية):
"أماؤك أم دَمْعِي عَشِيَّةٌ صَدَقَتْ * عَلِيَّةٌ فِينَا مَا يَقُولُ الْمُكَاشِحُ".
(بن منصور، 1365، صفحة 87)

وأيضاً في نفس المعنى: (علوة):
بَلِيلٌ وَلَا وَجْهَ لَصُبْحِي لِأَنْحُ * خَلِيلِي لَا طِيفَ لِعِلْوَةِ طَارِقِ .
(بن منصور، 1365، صفحة 85)

فلقطة - العلو - محمود في الحلم واليقظة
والمزمل يقول الشاعر في هذا الصدد:
"فيا مَزْلًا نال منه الردى ما اشتى *"

تُرى هل لِعُمْرِ الْأَنْسَى بَعْدَكَ إِنْ سَاءَ"
(بن منصور، 1365، صفحة 64)

فلقطة المنزل في اللغة عند تحليله لها تعنى الحلول وله دلالة عن المأوى الخاص؛ والمنزل يعني الدار والمنزلة وقد ورد في مضرب آخر أن له معنيين فالأول حصار تلمسان من طرف بني مرين ووجود الشاعر في الغربية.
ثالثاً: أدبية الرمز:

"وظف الشاعر التلمساني ابن خميس الرموز التقليدية والموروثة فلم يوظف غير حنين الإبل ولعان البرق وهديل الحمام وهبوب الرياح". (الشمشاطي، 1977، صفحة 389)
يقول ابن خميس: (الإبل):
"أَجْنُ لَهَا مَا أَطَّتِ النَّيْبُ حَوْلَهَا * وَمَا عَاقَبَهَا عَنْ مَوْرِدِ الْمَاءِ
أَظْمَاءُ". (بن منصور، 1365هـ، صفحة 65)

ويقول في موضع البرق والطير:
"يَطِيرُ قُوَادِي كُلَّمَا لَاحَ لَامَعٌ * وَيَنْهَلُ دَمْعِي كُلَّمَا نَاحَ صَادِحُ"
(المقري، صفحة 131)

وفي توظيفه للأنماط الحسية الذوقية والسمعية وغيرها يقول ابن خميس:

"ما ذَاقَ طَعْمَ بِلَاغَةٍ * مَنْ لَيْسَ لِلْحَوْشِيِّ مَاضِغٌ".

(بن منصور، 1365، صفحة 42)

فعند تحليلنا لهذا البيت يلخص نظرة ابن خميس للغريب ويستخلص موقفه من الحوشي وتوظيفه في التعبير الفني؛ فلفظة " ذاق " المستعملة في الدلالة على إدراك الجمال الفني وتوحي بقوة التفاعل مع الموضوع الذي نتذوقه لأن الذوق الذي عبّره جميع الشعوب على نوع من المعرفة التي يحصلها الإنسان بالاتصال المباشر بالشيء المعروف وحين تكون تلك المعرفة المباشرة ممتزجة بالميل والرغبة " (محمود، 1983، صفحة 25)، يؤهل المتذوق إلى تكوين نظرة جمالية قادرة على التمييز بين الجميل وغيره.

ولفظه "ماضغ" فالمضغ فعل يحدث أثناء عملية الهضم وظيفته تسهيل ابتلاع الطعام وهضمه ومن خلال نستشعر لذة الطعام وهو مرتبط في الثقافة العربية بالتكيف والتفاعل، فالغريب عند ابن خميس ليس مجرد مخرج يلجأ إليه الأديب وإنما هو منهج فني قائم بذاته " (شاكر، 2001، صفحة 38)، " فيحي بن خلدون أبو زكريا وصف ابن خميس بشاعر المائة السابعة والدجاج الذي لا نظير له". (أبو زكريا، 1980، صفحة 109)

يقول الشاعر ابن خميس:

" إِنِّي لَمُشْتَاقٌّ إِلَيْهَا وَمُنْبِيٌّ ❀ ببعض اشتياقي لو تمكنت إنهاء وَكُمُفَايِلُ تَفْنَى غَرَامًا بِحِمَا ❀ وقد اخلقت منها ملاء وإملاء". (بو حلاسة، 2008، صفحة 28)

تواتر صوت الميم 8 مرات عبر اليمين وهي أنفية شفوية، وهي مجهورة رخوة منفتحة مستقلة مذلقة، أما ذلاقتها فلخفتها في النطق.

وفحوة الخطاب أن الصورة الفنية في قصائد ابن خميس أخذت منعطف توظيفية لجلّ الأنماط الاستعارية والتشبيهية والذوقية والسمعية فجعلت قصائده ذا طابع فني متميز.

5 - الخصائص الفنية المتبعة في منهجه:

16. لغته وأسلوبه: " إن لغة الشاعر ابن خميس وأسلوبه تتبع الأغراض أو هي وليدة الأنماط التي يخوض فيها، فهي في غرض المدح والفخر تتسم بالجزالة والضخامة، وهي في الغزل والحنين تتسم بالعدوبة والسلاسة، ونل قصائده تسير على نمط واحد، وذلك من حيث اللفظ والأسلوب، وكذلك لعل هذا أيضًا راجع إلى صفاته الخلقية فكان الرجل متحليا

بالصمت كما كان وقورًا؛ وإلى ثقافته الواسعة ولاسيما

الفلسفية والصوفية ". (توات، 2007، صفحة 282)

كما كان يدافع عن مذهبه وقيمه فهو يقول:

مَا ذَاقَ طَعْمَ بِلَاغَةٍ ❀ مَنْ لَيْسَ لِلْحُوشِيِّ مَاضِغٌ

(المقري، 1939، صفحة 282)

" وثقافة ابن خميس الواسعة والمتعمقة في اللغة جعلته

يقتبس ألفاظًا وتعابير من الأدب الجاهلي، والقرآن الكريم،

والأدب الإسلامي؛ كما أتى الشاعر بألفاظ كانت تترد لدى

الشعراء الجاهليين وغيرهم كلفظ << خليي >>، والأربع والظباء

والطلتي والنوق ". (توات، 2007، صفحة 285)

فمثلا قوله:

خَلِيلِي إِنْ قَدَرْتَ فَلَا تَكْلَنِي ❀ لِدَهْرِ عِلْمِ الشَّحِ الْغَمَامَا

(ابن منصور، 1365هـ، صفحة 136)

كما كانت سمات وتأثيرات قرآنية بازغة في نصوصه، فقد

أخذ ألفاظ من القرآن الكريم.

فقوله:

وَمَا زِلْتُ وَالْعَلْيَاءُ تَعْنَى غَرِيمِهَا ❀ أَعْلَلُ نَفْسِي ذَائِمًا بِمَتَابِ

(المقري، 1939، صفحة 286)

فمتاب أخذها من قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ [سورة الرعد، الآية: 30]

" إن ابن خميس قلّد الشعراء العباسيين أسلوبا

ومضمونًا، وشعره في بعض الأحيان يشبه شعر بشار بن برد،

وأبي نواس، والبحري، وابن الرومي والمتنبي وأبي فراس، وكان

فيلسوفًا وصوفيًا له فكر الفيلسوف والصوفي ". (توات، 2007،

صفحة 294)

ومن التمثيل في التقليد شكلا ومضمونًا في مدحه لبني زيان:

وَتَأْنِفُ الْأَرْضُ مَقَامِي بِهَا ❀ حَتَّى تَهَادَانِي ظُهُورُ الرِّجَالِ

لَوْلَا بَنُو زِيَانَ مَا لَدَّى لِي الْعِي ❀ ش؛ وَلَا هَانَتْ عَلَيَّ اللَّيَالِي

(المقري، 1939، صفحة 285)

لقد نوع الشاعر في إخراج منسوجه الشعري مزهريًا فوظف

ما يسعى بالصنعة الفنية من طباق وجناس وسجع من

الفنون؛ فأكسب لباسه القصائدي سلاسة ومنظرًا يخطف

الأبصار.

نمق الشاعر وأطنب من توظيف الطباق ولعل ذلك حبا

منه في ذلك. (توات، 2007، صفحة 297)

وَدَارِي بِهَا الْأَوَّلَى الَّتِي حِيلَ دُونَهَا ❀ مَثَارُ الْأَسَى لَوْ أَمَكْنَ الْحَقَّ اللَّبْحُ
وَعَهْدِي بِهَا وَالْعُمْرُ فِي عُنُقُونِهِ ❀ وَمَاءُ شَبَابِي لَا أُجِينُ وَلَا مَطْعُ
قَرَارَةٍ تَهَيَّأُ؛ وَمَعْنَى صَبَابَةٍ ❀ وَمَعْدُ أَنْسٍ لَا يَلْدُ بِهِ لَطْعُ
مَعَاهِدُ أَنْسٍ عَقَلْتُ فَكَأَنِّي ❀ ظَوَاهِرُ الْفَاطِ تَعَمَّدَهَا الدَّسْعُ
(المقري، 1939، صفحة 291)

ومن شدة حرقة على بلده وشوقه لها وكتمانه لدموعه فهو لم
ينسى معالم مدينته فيقول أيضاً في هذه القصيدة الخائية:
تَلَمَّسَانِ جَادَتِكَ السَّحَابُ الدَّوَاخُ ❀ وَأَرْسَتْ بَوَادِيكَ الرِّيحُ الْوَاخُ
يَطِيرُ فُؤَادِي كُلَّمَا لَاحَ لَامِعُ ❀ وَيَهْتَلُ دَمْعِي كُلَّمَا نَاحَ صَادِحُ
فَفِي كُلِّ شَفْرِ مِنْ جُفُونِي مَاتِحُ ❀ وَفِي كُلِّ شَطْرِ مِنْ فُؤَادِي قَادِحُ
فَمَا الْمَاءُ إِلَّا مَا تَسَحَّ مَدَامِعِي ❀ وَلَا النَّارُ إِلَّا مَا تَجَنُّ الْجَوَانِحُ
كَتَمْتُ هَوَاهَا ثُمَّ بَحَّ بِي الْأَسَى ❀ وَكَيْفَ أُطِيقُ الْكَتَمَ وَالْدَّمَعَ خَاضِعُ؟
(ابن منصور، 1365هـ، صفحة 85)

• الطبيعة في شعره:

"كثيراً ما كان يلتجئ الشاعر إلى الطبيعة فهي مصدره الأول
الذي كان يأخذ منه صوره فحين مدحه لصديقه ابن الحكيم
أتى بصورة الصبح المنير؛ وبصورة الشمس والقمر، وضوءهما
فجاء بشمس الضحى وضوء شعاعها منبهاً في قوله:
يَتَضَاءَلُ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ إِذَا ❀ لَأَقَى سِنَاهُ جَبِينِكَ الصَّلْتُ
حَتَّى كَأَنَّ الضُّحَى قَمَرُ ❀ وَكَأَنَّ ضَوْءَ شَعَاعِهَا فَخْتُ
(توات، 2007، صفحة 227)

"إنَّ البيئة التلمسانية الطبيعية كان لها تأثيرها الواضح على
الشاعر، فتلمسان بلد جميل بما فيها من أشجار كثيرة ومتلفة،
وحدائق غناء وغيرها من المناظر؛ وابن خميس لا يتوقف عن
ذكر الطبيعة ذكراً عاماً وإنما يتعمق في البعض من خصائصها
ومميزاتا من خلال المعنى الذي يهدف إليه، والطبيعة عنده
وسيلة لتوضيح الفكرة التي يرمي إليها".

(توات، 2007، صفحة 231)

• الزهد والتصوف:

"لقد طبعت حياة الشاعر طبيعة الزهد في الدنيا ولاسيما بعد
نزوحه عن مدينته، وبعد أن فارق الأخلاء والأحباب، ويتجلى
قوله ناصحاً لغيره ومرغباً إياه عن الدنيا:
فَلَا تَرَجُ مِنْ دُنْيَاكَ وَدَا وَإِنْ يَكُنْ ❀ فَمَا هُوَ إِلَّا مَثَلُ ظِلِّ سَحَابٍ
وَمَا الْحَزْمُ كُلُّ الْحَزْمِ إِلَّا اجْتِنَابُهَا ❀ فَأَشْقَى الْوَرَى مِنْ تَصْطَفِي وَتَحَابِي
(المقري، 1939، صفحة 288)

"فإذا تكلمنا عن زهد وتصوف الشاعر فإنه يبدو لنا أنه لم يكن
زاهداً ومتصوفاً بآتم معنى الكلمة، لأنه لو كان كذلك لم

ففي هذه الأبيات يهجو الشاعر بني عبد الواد على بطشهم
برعاياهم فيقول:

كَأَنَّ تَحَبُّهَا مِنْ شِدَّةِ الْقَلْبِ الْقَطَا ❀ وَمِنْ وَقْهَا مِنْ شِدَّةِ الْخَدْرِ الْفُتْحُ
وَلَمَّا اسْتَقَلُّوا مِنْ مَهَاوِي ضَالِكِهِمْ ❀ وَأَوْمَرُوا إِلَى أَعْلَامِ رُشْدِهِمْ زَحُوا
(المقري، 1939، صفحة 291)

لقد نوع الشاعر من توظيف المحسنات البديعية وأبدع فيها
فركب الرنة الموسيقية الداخلية للقصيدة الشعرية فأكسبها
الطابع الموسيقي. (توات، 2007، صفحة 385)
فيقول ابن خميس:

يَطِيرُ فُؤَادِي كُلَّمَا لَاحَ لَامِعُ ❀ وَيَهْتَلُ دَمْعِي كُلَّمَا نَاحَ صَادِحُ
فَفِي كُلِّ شَفْرِ مِنْ جُفُونِي مَاتِحُ ❀ وَفِي كُلِّ شَطْرِ مِنْ فُؤَادِي قَادِحُ
خَلِيلِي لَا طَيْفَ لَعْلَوَةِ طَارِقُ ❀ لِبَلِيلٍ وَلَا وَجْهَ لَصْبُحِي لَائِعُ
نَظْتُ فَلَا نُورَ مِنَ الصُّبْحِ ظَاهِرُ ❀ لِعَيْنِي وَلَا نَجْمَ إِلَى الْعَرَبِ جَانِحُ
فَطَرَنِي عَلَى تِلْكَ الْبَسَاتِينِ شَارِحُ ❀ وَطَرَفِي عَلَى تِلْكَ الْمَيَادِينِ جَامِحُ
(المقري، 1939، صفحة 338)

"يكاد في قصيدته نلك أن يأتي كل قافيتها على وزن اسم
الفاعل الذي يحمل بدوره بعض خصائص فعله، واقتراب
الألفاظ في الحروف، وفي الميزان الصرفي، وتكرار الصوت
الدولقي للآم، والصوت المهموس للحاء، ساعد على التوافق
الموسيقى الانسيابي لهذه الأبيات". (توات، 2007، صفحة 326)
"ومن حيث الأوزان والقوافي نلاحظ أنَّ ابن خميس لم يخرج
عن البحور الشعرية التي أوجدها الخليل الفراهيدي فقد
أسهب في قصائده استخدام البحر الطويل والكمال فقد كان
لهما الحظ الأوفر، كما نظم الشاعر قوافيه بكثرة خاصة
استخدام الحاء، الهمزة، التاء، الجيم، الكاف، اللام، الهاء،
العين، الميم والياء". (الطمار، 2006، صفحة 136)

6.2. الأغراض الشعرية:

ومن الأغراض الشعرية التي استخدمها في قصائده نجد:

• الحنين إلى تلمسان:

"يأتي هذا الغرض في طليعة الأغراض الشعرية التي تستقطب
اهتمام الدارس أو الباحث في أدب ابن خميس؛ فتلمسان
موطن السحر والجمال بما تحويه من مناظر طبيعية فتانة،
وما تزداد به من بيئة طبيعية تحفها وتحيط بها من جوانبها
المختلفة، فلا غرابة أن يصف الشاعر ويتألق في الوصف ويجن
ويحترق في الحنين". (مرتاض، 2004، صفحة 65، 66)
يقول:

تَلَمَّسَانُ لَوْ أَنَّ الرَّمَانَ بِهَا يَسْخُو ❀ مَنَى النَّفْسِ لَا دَارَ السَّلَامِ وَلَا الْكَرْخُ

يتأسف على شبابه ويتذكر أيامه الحلوة بتلمسان، لأنّ الصوفي ابن وقته ولا يتحسر على ما فاتته". (المقري، 1939، صفحة 292)
 "ابن خميس الذي زهد في الدنيا إلى درجة تطليقها بعد أن علم بخباياها وتذوّق حلوها ومرّها، فانعكس أثر ذلك كلّهُ على حياته الخاصّة قبل أن يسيل على حواشي قصائده الكثيرة التي كثيرًا ما كان يحلّمها بطائفة من أفكار صوفية في بيت أو أكثر".
 (مرتاض، 2004، صفحة 189)

● الفخر:

"إنّ الفخر عند الشاعر غالبًا ما نجده في آخر قصائده وفيها فخر الشاعر إمّا بقومه وإمّا بثقافته أو بشعره أو بنفسه، وعند فخره بقومه يتناول ابن خميس تلك المعاني التي كانت سائدة في العصر الجاهلي والأموي بالإضافة إلى المعاني الإسلامية مثل الكرم ورعاية ابن السبيل والشجاعة في الحروب، والتغني بالأنساب العريقة والشرف". (توات، 2007، صفحة 189)
 ولعلّ اعتداد ابن خميس هو الذي دفعه كثيرًا إلى الافتخار بنفسه وبفنه، وفخر ابن خميس لا يقل عن فخر المتنبي بنفسه، وهذا ليس كان حافظًا للشعر العربي، فهو يابى ثراء المال والعلم، لأنّ العلم والمال ضدّان ويقول متأثرًا بالمتنبي:
 يابى ثراء المال علمي، وهل يجتمع الضدان
 وتأنف الأرض مقاميهما حتى تهاداني ظهر
 (توات، 2007، صفحة 200)
 وفخر ابن خميس كان متنوعًا حيث كان يدور حول الأمجاد القومية والثقافية والشخصية للشاعر.

يعدّ ابن خميس التلمساني لؤلؤة الأدب العربي بشقيه

المتنوع، فقد كان منجزًا في جميع الميادين وضرب جميع الأغراض الشعرية، فكان بركانا لا ينطفئ تذوقه الفني والأدبي.

6 - قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

● المصادر:

1. ابن منظور. لسان العرب. (د.ط.). بيروت: مج 2، مادة [ص. و.ر].
2. ابن الخطيب، لسان الدّين محمد بن عبد الله بن الخطيب التلمساني، (1973). الإحاطة في أخبار غرناطة (ج 2). (ط 2). (تحقيق: محمد عبد الله عنان). القاهرة: مكتبة الخانجي.
3. ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن الخطيب القسنطيني. (1971-1982). كتاب الوفيات (د.ط.). (تحقيق: عادل

نويهض) بيروت: مؤسسة نويهض الثقافية، منشورات المكتب التجاري.

4. الزبيدي (2001). تاج العروس من جواهر القاموس. (د.ط.). (تح: جماعة من المحققين). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
5. عبد الرحمن ابن خلدون. (1985). تاريخ ابن خلدون المسمى كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، (ج 7). (د.ط.). الجزائر: دار الكتب العلمية الوطنية للكتاب.
6. العبدري، أبو عبد الله محمد بن محمد الحيحي. (1964). الرحلة العبدرية أو المغربية. (تحقيق: أحمد بن جدو). جامعة الجزائر: كلية الآداب.
7. قاسم مخلوف. (2003). الشيخ محمد بن محمد، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (ج 1). (ط 1). (خرّج حواشيه: عبد المجيد خيالي). بيروت: دار الكتب العلمية.
8. المقري. (1939). أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (ج 3). (تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي). القاهرة: المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، بيت المغرب.
9. المقري، شهاب الدّين أحمد بن محمد المقري التلمساني. (1998). نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها. (تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي)، (ج 7-9). (ط 1). بيروت: دار الفكر للطباعة.

● المراجع:

10. ابن رشيق القيرواني. (1987). العمدة في محافل الشعر وآدابه ونقده. (ج 1). (ط 5). (تح: محمد محي الدين عبد الحميد). بيروت: دار الجيل.
11. أبو عمران الشيخ، وآخرون. (2007). معجم مشاهير المغاربة (د.ط.). الجزائر: منشورات دحلب.
12. جابر عصفور. (1992). الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب. (ط 3). الدار البيضاء. بيروت: دن.
13. زكي نجيب محمود. (1983). في فلسفة النقد. (ط 2). بيروت: دار الشروق.
14. شاعر عبد الحميد. (2001). التفضيل الجمالي. (د.ط.). (عدد 267). د.ب: سلسلة عالم المعرفة.

15. الشمشاطي علي بن محمد. (1977). الأنوار ومحاسن الأشعار. (ج 1). (د.ط.). (تح: السيد محمد يوسف، مراجعة عبد الستار أحمد فراج). الكويت: مطبعة حكومة الكويت.
16. صلاح عبد الفتاح الخالدي. (1988). نظرية التصوير الفني عند السيد قصب. (د.ط.). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
17. طاهر توات. (2007). ابن خميس التلمساني حياته وشعره (ط1). الجزائر: عاصمة الثقافة العربية.
18. عبد الرحمن الجيلالي. (2007). تاريخ الجزائر العام . (ج2). الجزائر: دار الأمة.
19. عبد الوهاب ابن منصور. (1365هـ). المنتخب النفيس من شعر أبي عبد الله بن خميس . (ط 1). تلمسان: مطبعة ابن خلدون.
20. عز الدين إسماعيل. (1978). الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية. (ط5). القاهرة: دار الفكر العربي.
21. علي البطل. (1981). الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري. (ط1). بيروت: دار الألسن.
22. عمر محمد طالب. (2000). عزف على وتر النص الشعري. (د.ط.). سوريا: دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب.
23. لخضر عبدلي. (2011). تاريخ مملكة تلمسان في عهد بني زيان (962-633هـ/1554-1632م). (ط1). د.ب.ن: دار الأوطان.
24. محمد الطمار. (2006). تاريخ الأدب الجزائري (د.ط.). (تحقيق: عبد الجليل مرتاض) . الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
25. محمد مرتاض. (2004). من أعلام تلمسان – مقارنة تاريخية فنية -. (د.ط.). تلمسان: دار الغرب للنشر والتوزيع.
26. نوار بوحلاسة. (2008). ديوان الشعر الزياتي. (ج1). (د.ط.). قسنطينة: مطبوعات جامعة منتوري.
27. نورمان فريدمان. (د.ت.). الصورة الفنية. (ترجمة: جابر عصفور). (ع16). د.ب: مجلة الأديب العراقية.